**حقوق المرأة بين الإخلال والإجلال!**

**عبداللطيف بن عبدالله التويجري**

**أيها الإخوة في الله!** ألا ما أتعس الظالم! ألا ما أتعس الظلم وأهله! ألا ما أتعس مآله وحاله! ويح الظالم.. أيظن أنه يفر من الله الذي يقص الحق وهو خير الفاصلين، أيفر من الذي يقول: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة..

**أيها المؤمنون:** هناك ظلم قديم متجدد، يأتينا بين الفينة والأخرى بألوان مختلفة، قد ضرب أطنابه عبرَ حِقَبِ التاريخ، واختلافِ المللِ والأعراق، وعبر القوانين المعاصرة.

ألا وهو ظلم شقيقة الرجل (المرأة) فأنت إذا تأملت المرأة في جاهليةِ العربِ الأولى، لا حق لها ولا كرامة، مستعبدةٌ محرومة ذليلة مشؤومة.

كانت المرأةُ في جاهليةِ العرب الأولى يستقبلُها والدها باكفهارِ الوجه، وانقباض النفس، والابتعادِ عن أعين الناس، مع تقاذفِ همومهِ وتساؤلاتهِ من كلِ جانب: (أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُون).

كانت المرأةُ تجرَّمُ وتهجرُ إذا وضعت بنتًا، ولسان حال المسكينة:

**ما لأبي حمزةَ لا يأتينا**

**ينامُ في البيتِ الذي يلينا**

**غضبانَ أن لا نَلِدَ البنين**

**تاللهِ ما ذلك في أيدينا**

أما المرأةُ عند اليهود: فلا حقّ لها في الميراث، وإذا حاضت فهي نجسةٌ، لا تُؤاكل ولا تُجالس.

وعند رهبانِ الكنيسة: شيطانٌ رجيم، مصدرٌ للخطيئةِ، ومنبعٌ للشر.

وفي بلادِ الرومِ والإغريق: تباعُ ولا قيمةَ لها.

أما فلاسفةُ اليونان: فهم يتساءلون: هل المرأةُ إنسان، وهل لها روحٌ أم ليس لها روح؟!

فجاءَ الإسلامُ العظيمُ فأنصفهَا ورفَعَها، وعظَّم بِرَّها وأكرمها، أكرمها أمًّا وبنتًا، وزوجة وأختًا؛ أكرمها أُمًّا، يوم أن جاءَ ذلك الرجلُ يستأذنُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- في الجهادِ وتركِ أُمِّه، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الزم رجليها؛ فثمَّ الجنة". رواه ابن ماجه وغيره، وهو حديث حسن.

وأكرمها زوجة، يومَ أن قالَ المصطفى -صلى الله عليه وسلم-:"خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيركم لأهلي".

وأكرمها بنتًا وأختًا، يوم أن قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ليس أحدٌ من أمتي يعولُ ثلاثَ بناتٍ أو أخواتٍ فيحسن إليهن، إلا كُنَّ له سَدًّا من النار". رواه أحمد والترمذي وصحَّحه ابن حبان.

فالحمدُ للهِ على نعمةِ هذا الدينِ العظيم، الذي أعزَّ المرأةَ ورفعَ منزلتها، وأزالَ النظرةَ الدونيةَ الجاهليةَ عنها.

وحُقَّ لنا أن نُفاخر، بأنه لا يوجدُ في قوانينِ الأرضِ قاطبة، مَن حَفِظَ المرأة وأكرمَها، كما حَفِظها الإسلام، ولا غرو في ذلك، فهي شريعة السماء: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيف الْخَبِيرُ).

**إخوة الإيمان:** ومع هذا الموقفِ الناصعِ للإسلامِ تُجاه المرأة، نرى المؤتمراتِ الغربية، والحملاتِ المنمَّقةِ تحت شعارِ حقوقِ المرأةِ وحريّتها، نراها تتّهم إسلامَنا بأنه قد هَضَمَ المرأةَ حقَّها، وكبتَ من حركتها.

عجبًا والله، ألا يكفي الغرب ما آلت إليه حالُ المرأةِ في بلادِهم، حتى يتوِّجونا بتلك الاتهامات، وهذه النصائحِ الكاذبة.

لقد ضَرَبَتْ لنا الجاهليةُ الغربيةُ، أشنعَ ألوانِ ظلمِ المرأةِ وإهانَتِها، وسلبِ كرامتها، ظَلَمَتْ الجاهليةُ الغربيةُ المرأة يومَ أن استغلّت جَسَدَها للعرضِ الفاتن، من خلالِ المجلاّتِ والأفلام، التي لا يروج مسوقها إلا إذا مُلِئَتْ بالنساءِ الفاتنات، حتى أصبحت المرأةُ سلعةً مهينة لاستدرارِ الأموالِ وتسويقِ المنتجات.

لقد ظَلَمَتْ الجاهليةُ الغربيةُ المرأة يومَ أن طبقوا نظريةَ المساواةِ المزعومة، فسمحوا للمرأةِ أن تُزَاحمَ الرَّجلَ وتخالطَه العمل؛ ما أثر على أنوثَتِها وعُشِّ بيتِها.

لقد ظَلَمَتْ الجاهليةُ الغربيةُ المرأة يوم أن أَذَاقَتْها ألوانَ الاضطهادِ والعنفِ والاعتداءِ الجسدي، ولن نتكلمَ عن قصصِ العنفِ المهولة، وحالات الإجرام المشينة؛ فلغةُ الأرقامِ المُذْهِلةِ، تُنْبِئُك عن حجم مأساة المرأة، وعِظَمِ الظلمِ الذي تتغصَّصُه هناك.

في دراسةٍ أعدَّها المكتبُ الوطنيُ الأمريكيُ للصحةِ النفسية جاء فيها: أن سبعةَ عشرَ بالمائةَ من النساءِ اللاتي يَدْخُلن غُرفَ الإسعاف، هنَّ ضحايا ضربِ الأزواجِ أو الأصدقاءِ.

وجاء في نهايةِ الدراسة: أنَّ ضربَ النساءِ هو إحدى حقائق المجتمعِ الأمريكي، ومشكلةٌ اجتماعيةٌ واسعةُ الانتشار.

وفي ألمانيا: ذكَرَتْ إحدى الإحصائيات الاجتماعية: أنَّ ما لا يقلّ عن مائةِ ألفِ امرأةٍ تتعرض سنويًّا لأعمالِ العنفِ الجسديِّ أو النفساني، ورجحت تلك الدراسة أن العددَ يزيدُ عن هذا الرقمِ بكثير.

وكشف مسحٌ استطلاعيٌ أعَدّته وزارةُ الداخلية البريطانية أن ثمانينَ بالمائةِ من ضابطاتِ الشرطة يتعرض للمضايقاتِ خلالَ نوباتِ العمل الرسمية.

أما حالاتُ الاغتصابِ هناكَ، فحدِّث ولا حرج؛ ففي دراسةٍ أعدّها مركزُ الضحايا الوطني الأمريكي، جاء فيها أن واحدةً من كلِ ثمانيْ فتياتٍ في الولاياتِ المتحدة تعرضنَ للاغتصابِ القهري.

وتقول دراسةٌ أخرى: إن جرائمَ الاغتصابِ تنخفضُ خلالَ الشتاء؛ لأن المرأة لا تخرجُ من بيتها.

ويبلغُ ظلم الجاهليةِ الغربيةِ للمرأةِ غايته، يومَ أنْ يُتاجرَ بشرفِ المرأةِ وعفافها، فكثرت أوكارُ الدَّعارَةِ المنظمة، وعُرف في أرضهم ما يُسمى بتجارةِ الرقيقِ الأبيض، والتي أصبحتْ تحتلُ المركزَ الثالث عالميًّا بين النشاطاتِ غيرِ المشروعة؛ ما تسببَ في شيوعِ الأوبئةِ التي ما خَرَجَتْ وعُرِفَتْ إلا هناك.

وصدق النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ما ظَهَرَتِ الفاحشةُ في قومٍ حتى أعلنوا بها، إلا ابتلوا بالطواعينِ والأوجاعِ التي لم تكن في أسلافهمُ الذين مضوا". رواه ابنُ ماجه والبيهقيُّ، وهو حديث حسن.

وها هي صيحاتُ عقلاءِ الغرب: تَنْدُبُ وضعَ المرأةِ المزري، وتُقِرُّ بأن الحياةَ المدنية، قد أثّرت في سعادتها البيتيَّة، وأمومتها الحانية.

يقولُ أحدُ مفكريهم: "إنَّ الإسلامَ قد أثَّرَ تأثيرًا حسنًا في رفع مقامِ المرأة، أكثر من كثيرٍ من قوانيننا الغربية".

ويقول باحث آخر: "أثبتتْ تعاليمُ القرآنِ وتعاليمُ محمد، أنها حامية حمى حقوقِ المرأةِ التي لا تكل".

**أيها الفضلاء:** المرأة في مجتمعنا تعيش -بحمد الله- في سعادةٍ وهناء، فهي تتقلبُ بين رحمةِ الأبُوة، وعطف الأُخوَّة، وكَنَفِ الزوجية، ومحبة البنوة.

المرأة في مجتمعنا -بحمد الله- مصونةٌ محترمة، تُلبَّى حاجاتها، وتوفَّرُ طلباتها، وتُحَقَّقُ رغباتها، وهذا هو حالُ المرأةِ في الغالبِ الأعم، بيد أنَّ لكلِّ قاعدةٍ شواذًّا، وليس من الصوابِ أن نَدُسَّ رُؤوسَنا في الترابِ، ونقول: ليس ثمةَ ظلمٌ للمرأة، بل من الديانةِ كَشْفُ هذا الظلمِ ورفعُه، وبيانُه وتعظيمُ جُرْمهِ، فنحن أولى بِنُصرةِ المرأةِ ورفعِ الظلمِ عنها، من دعاةِ يستغلونَ وجودَ هذا الظُلمِ برفعِ شعاراتِ زائفة وغير صادقة.

**أيها المسلمون:** وإن من صورِ ظلمِ المرأةِ في مجتمعاتنا: الاعتداءُ على مالها، كمنعِ حقِّها من الإرث، أو أخذِ جزءٍ من المهر، أو استغلالِ الوليِّ راتبَ المرأةِ إن كانت عاملةً رغمًا عنها. وهذا كلُه من الجورِ العظيمِ والظلم الشنيع:

**وظلمُ ذَوِيْ القربى أشدُّ مضاضةً**

**على المرءِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهنَّدِ**

ومن صور الظلم أيضًا: التسببُ في حرمانِ المرأةِ من الحياةِ الزوجية، فبعض الآباء -هداهم الله- يُؤخر زواجَ ابنَتهِ حتى تواصلَ دراستها لكي تصلَ إلى أعلى المراتب، فيردُ كلَّ من تقدّمَ لها من أهلِ الكفاءة، حتى يتقدم بالمرأةِ العمر، ويفوت القطار، وتعيش تلك المرأةِ حياةَ العنوسةِ والأسى، التي سبَّبَها وليها.

**رام نفعًا فضرَّ من غيرِ قصدٍ**

**ومن البرِّ ما يكونُ عُقوقًا**

ومن صورِ الظلمِ أيضًا: عدمُ اهتمام الولي باختيارِ الزوجِ الصالحِ المناسبِ للمرأة، فكم من امرأةٍ صالحةٍ مسكينة، تزوجت من رجل لا تعرفه، ثم تُفاجأ بأنه لا يُصلي، أو مبتلىً بالمسكراتِ والمخدرات، فتعيشُ هذه المسكينةُ الأيامَ والليالي حسرةً وألمًا، والسببُ: تفريط الولي في السؤال عن حال الزوج.

ومن العقوق أيضًا: المغالاةُ في مهورِ النساء، فبعض الأولياء يشترطُ الأرقام الفلكية مهرًا لابنته، وكأنها سلعةٌ للمقايضة، وهذا كلهُ مخالفٌ لقولِ النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أعظمُ النساءِ بركة، أَيْسَرُهن مؤونة".

إلزامُ المرأةِ بالزواجِ من رجلٍ لا ترضاه: من الظلم المبين، وهذا يقعُ دائمًا في زواج الأقارب، فيأنفُ والدُ المرأةِ أن يَرُدَّ قريبه، فيجبر الوالدُ ابنته على الرضا، فتوافقُ المسكينةُ على مضض وإكراه؛ روى النسائي وابن ماجه أنَّ فتاةً دخَلَتْ على عائشةَ -رضي الله عنها- فقالت لها: إن أبي زوَّجني ابنَ أخيهِ وأنا كارهةٌ، فقالت عائشة: اجلسي حتى يأتيَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما جاءَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أخبرته، فأرسل إلى أبيها، فدعاه، ثم جعلَ الأمر إليها.

**عباد الله:** التعددُ مباحٌ في شريعةِ الإسلام، لمن كان قادرًا على العدلِ، وإعطاء كلّ ذي حقٍ قه، وقد يكون ضرورة لبعض الرجال، ولكن حين يؤول الأمرُ إلى الحيفِ والميل، فهذا من الظلمِ الذي شنَّعه الإسلام؛ يقول الله تعالى: (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلقة)، (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً).

**ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من كانت له امرأتان، فمال إلى إحدَاهُما، جاءَ يومَ القيامةِ وشِقُّه مائل". رواه أحمد وأصحاب السنة بسند صحيح.**

**الخطبة الثانية**

**أما بعد:**

العضْلُ -وما أدراكَ ما العَضْل-: أن يختار الزوج سبيل الدناءة، حين لا يرغب في الزوجة، فيعلقها ولا يُطَلِّقها حتى تدفعَ له المهر كاملاً، وهذا كلَّه من الجَشَعِ والطمعِ الذي تأباه نفوس أهل الإيمان.

ومن صور ظلم المرأة أيضًا: تهديدُ الزوجةِ بالطلاق، وتلويحُ عصا الفراقِ عند أدنى خلاف، وكلنا نعلمُ كَم يقع هذا الأثر في نفسِ المرأةِ حين تطلق.

ومن صور ظلم المرأة الظاهرة: الانشغالُ عن تربيةِ الفتاة وتهذيبِها على مكارمِ الأخلاقِ ومعالي الأمور، وعلى الطهرِ والعفافِ، وحسن التدينِ ظاهرًا وباطنًا، فالأب مشغول بأعماله وارتباطاته، والأمُّ مشغولة بوظيفتها وزياراتها، فضاعَتْ تربيةُ الفتاةِ.

ومن صور الظلم أيضًا: نظرةُ المجتمعِ المشينة، للمرأة المطلقة، مع أن هذه المرأة، ربما تكون قد طُلِّقَت لأمرٍ تُحمدُ عليه، كعيبٍ في ديانةِ الرجلِ لا يُرضي الله -عز وجل-، فبدلَ أن يُؤخذ على يَديها وتُشجع لسلامةِ رأيها، ينظرُ بعضهم إليها بأنها هي المخطئة، وربما غُيِّرت بالطلاق وضُيِّقَ عليها، وهذا كلُّه لا يليقُ في معجم القيم، ولا يجتمعُ مع مكارمِ الأخلاقِ النبيلة.

**إخوة الإيمان:** واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمة، نشرُ نظامِ الإسلامِ العادلِ وتعاليمهِ الربانية؛ لِيُنقِذَ المرأةَ من الجاهلية المعاصرة، كما أَنْقَذَها من الجاهلية الأولى.

إن مشكلاتِ ظُلمِ المرأة والإجحافِ بحقها وبَخْسِه قد لا تَحُلُّه القوانينُ والأنظمة؛ إذ الحيلُ كثيرة، وإمكانُ المكايدةِ والتلاعبِ فيها واسع، وإنما يحلُّه التذكيرُ بعقوبةِ الله -عز وجل-: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا).

وليتذكرْ كلُّ ظالمٍ أن اللهَ يُمهل ولا يهمل، وإنه سيرى ما جناه ظلمه في دُنياه قبل آخرتهِ، قالهُ المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى: "ما من ذنبٍ أجدر أنْ يُعجل اللهُ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يَدَّخره من العذابِ في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم". رواه أحمد والترمذي، وهو حديث صحيح.

**وأخيرًا -عباد الله-،** فإن من المروءةِ والشهامة: الصبرُ على أخطاءِ المرأة، والتسامحُ مع زلاّتها، وغض الطرف عن تقصيرِها، مع حسن المعاملة، وطيبِ المعاشرة، ولا يَفْرك مؤمن مؤمنة، إن سخطَ منها خلقًا، رضي منها آخر. **اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا أتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واسلك بنا سبيل الهدى والرشاد.**